

الباب الثاني

عطاء الحضارة الإسلامية في مجال

إعلاء العقل والعلم، والإبداع العلمي واكتشاف المنهج

التجريبي، وأثر ذلك في إطلاق النهضة الأوروبية

١- الفصل السابع

العطاء الإسلامي وقضايا الإعجاز في القرآن الكريم

٢- الفصل الثامن

عطاء الإسلام والإبداع العلمي عند المسلمين

٣- الفصل التاسع

مجالات الإبداع العلمي عند المسلمين

٤- الفصل العاشر

العطاء الإسلامي في مجال المنهج:

المنهج التجريبي إفرار العقل المسلم

٥- الفصل الحادي عشر

إبداع المسلمين العلمي والمنهجي وأثره علي إطلاق النهضة

obeyikandi.com

الفصل السابع

العطاء الإسلامي وقضايا الإعجاز في القرآن الكريم

١- مقدمة.

٢- العطاء الإسلامي في مجال الإعجاز التشريعي والعلمي.

٣- أنواع الإعجاز في القرآن الكريم.

مقدمة:

العطاء الإسلامي في مجال الإعجاز التشريعي والعلمي:-

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لكل زمان ومكان وكل العصور إلى يوم الدين، وهو

معجزة خالدة ومتجددة تضمن مجموعة من الإعجازات المتعددة منها:

١- الإعجاز اللغوي.

٢- الإعجاز البياني.

٣- الإعجاز الفقهي.

٤- الإعجاز التاريخي (السنن التاريخية).

٥- الإعجاز التشريعي. في مجال الأسرة وحقوق الإنسان وتحريم الخمر والزنا والفواحش... الخ

٦- الإعجاز الاقتصادي في طرح قواعد وثوابت يجب الالتزام بها في كل أنواع المعاملات

الاقتصادية مع الأخذ في الاعتبار التجديد والتطوير في أوجه المعاملات الاقتصادية وضبط هذه

المعاملات المستحدثة بضوابط شرعية ثابتة تحول دون تحولها إلى انحراف أو فساد أو إفساد أو إضرار

بمصالح الناس.

٧- الإعجاز الاجتماعي في مجالات أحكام الأسرة وأحكام الميراث وأحكام المعاملات

الزوجية، وأحكام تربية الأبناء، وأحكام الطلاق ومنهاج مواجهة المشكلات والأزمات الزوجية.

٨- الإعجاز العلمي، وهو إخبار الناس بحقائق لم يتوصل العلماء إلى معرفتها إلا بعد أكثر من ثلاثة عشر قرناً من نزول الوحي، وتشمل علوم الفلك والطب والكيمياء والفيزياء (١٦٨)... فهذه الحقائق وفهمها توصلنا إلى حقيقة الكون المنظور من خلال كتاب الله المقروء، مصداقاً لقوله تعالى (إِنَّ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمُونَ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (٨٨) سورة ص. وقوله تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُصِيبِينَ) (٤٩) سورة هود.

ولا شك أن الجهود تبذل في إبراز الإعجاز العلمي والتشريعي والنفسي والبيئي واللغوي... الخ في القرآن الكريم، تؤدي عدة وظائف مهمة للمؤمنين وللشريعة كلها. وأول هذه الوظائف زيادة الطاقة الإيمانية عند المؤمنين، كما أنها تطرح حلولاً لمشكلات وأزمات يعيش فيها الناس لانقراضهم الهداية الإلهية، كما هو الحال في مجال شرب وتعاطى المخدرات والمسكرات وممارسة الرذائل كالزنا والمواط، وفي مجال المعاملات الاقتصادية التي أفسدت المجتمعات وأفسدت الإنسان وأدت إلى الصراعات المدمرة بين الناس والطبقات والدول، ونحن الآن نشهد أزمة مالية اقتصادية مستحكمة تمسك برقية كل دول العالم. وهذه الأزمة انطلقت من أمريكا والغرب الذي يقوم على رأسمالية متوحشة لا تلقى بالا بالأحكام والضوابط الشرعية الدينية في مجال المعاملات الاقتصادية. والجهود التي تبذل في مجال بيان إعجاز القرآن والسنة في المجالات المتعددة، تكسب الإسلام أنصاراً جديداً من أكبر العلماء والمفكرين في العالم. فالتفكير في الإسلام فريضة إسلامية، والعلم فريضة، والحوار العلمي المتوازن بالحكمة فرصة للوصول إلى الحقائق التي يتفق عليها العقلاء من البشر، وإعلاء شأن العقل والحس كمصادر للمعرفة أمر أوجبه الإسلام بشرط الانضباط بأحكام الوحي.

ويقول الله عن كتابه الكريم (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (هود ١) وهو المحفوظ بحفظ الله من التحريف والتبديل والحذف والإضافة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاحِظُونَ) (٩) سورة الحجر.

وهذه الحقيقة الكبرى قد اعترف بها الكثير من العلماء من غير المسلمين الذين اتصفوا بالحيطة والعلمية والمنهجية والنزاهة. فقد أكد فريق من الأساقفة والرهبان والنصارى في الدنمارك منذ سنوات، بعد مناظرة مع علماء المسلمين أن (القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي لم يتعرض للتحرير قط، في حين أن الكتب السماوية لسائر الأديان الماضية قد تعرضت للتحرير على مر التاريخ) (١٦٩).

ويجمع الباحثون إلى أن المقصد الأسمى من القرآن الكريم هو هداية الإنسان لما يحقق لهم الصلاح والنفع في الحياة الدنيا وفي الآخرة. لكن للقرآن أهدافا أخرى سامية ورفيعة، وأودع الله فيه كنوزا ثمينة يتوالى الكشف عنها مع مر السنوات والقرون والعصور. هذه الكنوز تتمثل في الإعجاز اللغوي والبياني والفقهية والتشريعية والاجتماعية والبيئية والنفسية والعلمية.... الخ.

ولأن القرآن الكريم كتاب هداية الله للناس إلى يوم الدين فإننا نلاحظ أن من أوجه الإعجاز القرآني أمران أساسيان وهما:

الأول: لم يخاطب الناس عن حقائق كونية مجهولتها وغير مهينين لقبولها وحتى الاستماع إليها ومناقشتها، لأن هذا يؤدي بالناس إلى رفضه وعدم قبول دعوته. وقد جاء في الأحاديث النبوية ما يفيد (حدثوا الناس بما يعملون - أتحبون أن يكذبوا الله ورسوله).

الثانية: عدم موافقة الناس في عصر نزول الوحي على معتقداتهم الكونية والاجتماعية والاقتصادية.... الخ.

لأن هذا يتنافى مع مقاصد القرآن في الهداية الربانية للناس، ولأن ذلك يعنى عدم قبوله في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي (١٧٠).

ومن هنا جاء الإعجاز المتعدد للقرآن الكريم. فوجود تدرج في إدراك تمام التطابق بين العبارات والإشارات القرآنية وبين الحقائق الطبيعية، وفطرة الناس، وما يحقق لها المصالح العامة وليست الخاصة، الحقيقية وليست الوهمية، كل هذا يعد أبلى دليل أنه من عند الله الخالق البارئ المصور.

(١٦٩) كارم غيم: جهود وإنجازات الجهات العاملة في مجال الإعجاز للقرآن والسنة: ندوة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: مطبوعات الجمعية الخيرية الإسلامية ٢٠٠٣ ص ٩ .
(١٧٠) المصدر السابق ص ١٠ .

وهذا ما يبقى القرآن الكريم معجزة خالدة مستمرة لا يخلق على كثرة الرد كما أشار رسولنا الكريم ﷺ.

وإذا تحدثنا عن الإعجاز العلمي للقرآن والسنة فإننا نقصد إخبارها بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت استحالة إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، فيما يثبت صدقه في بلاغه عن الله (١٧١) ووصف الإعجاز بأنه علمي نسبة إلى العلم التجريبي المعنى بدراسة الظواهر المطردة في الآفاق وفي النفس وصولاً إلى القوانين التي تحكمها وتفسر سلوكها وتعلل حدوثها. قال تعالى (سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥٣) سورة فصلت.

وبالنسبة للإعجاز العلمي فقد بذلت العديد من الجهود الفردية والجماعية، ومن بين هذه الجهود على سبيل المثال لا الحصر في الماضي جهود نُن من أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٦٠٦هـ) وأبو الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) والألوسي (١٢١٧-١٢٧٠).

وبرز في القرن الرابع عشر الهجري مجموعة كبيرة من الباحثين من بينهم محمد عبده، طنطاوي الجوهري، عبد الخليم محمود، محمد فريد وجدي، محمد الطاهر بن عاشور، بديع الزمان سعيد النورسي، عبد الرازق نوفل... الخ

أما في القرن الخامس عشر الهجري وهو القرن الحالي فقد تكونت الجمعيات والهيئات والجماع لدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. بعض هذه الجهات حكومية، وبعضها أهلية، وبعضها غير متخصصة، وبعضها جهات خاصة (١٧٢).

وعندما نتحدث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم تجدر الإشارة إلى أن الناس يتفاوتون في فهمهم للقرآن ونصوصه حسب معلوماتهم وعلمهم وتخصصاتهم واستطاعتهم وقوة فكرهم والجهود

(١٧١) عبد المجيد الزنداني: الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهاجاً. مجلة الإعجاز - هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة / رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة العدد اصفر ١٤١٦ .
(١٧٢) للمزيد من المعلومات حول هذه الجهات المعنية بالإعجاز العلمي للقرآن . راجع المصدر السابق ص ١١ وما بعدها .

المبدول في الفهم. يذكر (الراغب الأصفهاني) في كتابه (مقدمة التفسير) (١٧٣) (ثم إن القرآن، وإن كان في الحقيقة هداية للبرية، فإنهم لن يتساووا في معرفته، وإنما يحظون بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم، فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه... وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه) (١٧٤). وهذا ينطبق على المتخصص في العلوم التجريبية. وكما يقول أحمد فؤاد باشا (كم في القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها، ذلك أن القرآن الكريم له أسلوبه الحكيم) وله منطقه في إبراز آيات الله في الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ ومنطق الهداية الذي جاء به القرآن اقتضى ألا يخاطب الناس بما لا يعرفون أو بما يستعصى على أفهامهم، فيؤدى بهم ذلك إلى عدم تصديقه والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه. وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الجزئية. ويشير باشا إلى ضرورة التمييز بين نوعين من المعجزات العلمية (١٧٥).

النوع الأول: المعجزة التي تتجه إلى العقل: وهي موجودة يلتقي بها ويشاهدها كل من يريد دراستها، وتمثل في الإطراد المنتظم لظواهر الكون والحياة التي لا تتبدل ولا تتحول. قال تعالى:

(قُلْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (٤٣) سورة فاطر.

النوع الثاني: المعجزة التي تكون من خوارق العادات: (كالزلازل والبراكين والتسونامي وغيره) وهي التي تذهل العقل وتضطره بالإفحام القاهرة على التسليم بقدرته الله وعظمته في خلقه بمشيئته المطلقة. والعالم الحق هو الذي يدرك عظمة الله فيما يشاهده من سنن الله في الأفلاك والمادة وسلوك الكائنات.. وهنا يجب ألا تكون الألفة بهذه الظواهر مانعة من إدراك من يقف وراءها ويد العناية الإلهية العاملة بها.

ولهذا يميز باشا بين أمرين يجب التمييز بينهما:

الأول: الإعجاز العلمي. وهو الإخبار في القرآن الكريم بحقيقة كونية قبل قيام العلماء المحدثون والمعاصرون باكتشافها.

(١٧٣) راجع أحمد الشرباصي: قصة التفسير: دار العلم القاهرة ١٩٦٢،،، وراجع أحمد فؤاد باشا: ضوابط البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم: ندوة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. الجمعية الخيرية الإسلامية. مصدر سابق ص ٥٨.

(١٧٤) أحمد فؤاد باشا: مصدر سابق ص ٥٩.

(١٧٥) المصدر السابق ص ٥٣-٥٤.

الثانية: التفسير العلمي للقرآن الكريم. ويقصد به الكشف عن معاني جديدة للآية القرآنية أو الحديث الشريف في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية دون سرف أو مغالاة وهذا يعني أن تصبح هذه العلوم الكونية في خدمة تفسير القرآن والسنة مثلما خدمته علوم اللغويات والأصول والفقه وغيرها من العلوم الشرعية. وعطاء الإسلام للحضارة الإنسانية في القرآن والسنة يتضح في جوانب كثيرة متنوعة، فهو يريد أن يهدي البشرية لتطبيق أحكامه وقيمه وأخلاقه حتى تنجو في الدنيا والآخرة، ولهذا فقد شاءت حكمة الله أن يستخدم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور أساليب متعددة تحقيقاً لمقصد الهداية والإرشاد والترشيد. فالقرآن تارة يخاطب الناس بما يمس قلوبهم وعواطفهم، وتارة أخرى يقرع عقولهم قرعاً شديداً.

وقد جعل القرآن الكريم التفكير في خلق الله ومنه الكون المادى فريضة إسلامية - تقودهم إلى أمرين:

الأول: الهداية وتقوية الإيمان واليقين بوحداية الله وقدرته وبديع صفاته.

الثانية: معرفة سنن الله الكونية والإنشاع بما في الاستفادة من المستخرات الكونية التي سخرها الله لصالح الإنسان (١٧٦).

ومباحث العلماء حول جوانب الإعجاز القرآني في مجال التشريع والعلم والمنهج والتربوية واللغوية والبيانية وغيرها، وقد جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (سورة النساء ١٦٦).

إن الله تعالى أنزل في القرآن من علمه ما أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان وكل ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل (١٧٧).

وقد أخبرنا الله أنه سبحانه وتعالى سيفتح على الناس بمعرفة آياته في الكون وفي النفس. قال تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٩٣) سورة النمل. وقال تعالى (سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥٣) سورة فصلت.

وهناك وجه آخر للإعجاز الدعوى في القرآن الذي يتصل بمحض الإنسان على استخدام عقله للتفكير في آيات الله ومنها (السموات والأرض والشمس والقمر ومنازله والمشارق والمغارب

(١٧٦) نيل السمالوطي: التمية بين التوجهات الدينية والوضعية - دار المعرفة الجامعة ١٩٩٦ ص ٣٢ .

(١٧٧) انظر مختصر تفسير ابن كثير: المجلد الأول ص ٤٦٦ .

والليل والنهار والفجر والغسق والظلمات والضياء والنور والنجوم والكواكب والبروج والبحار والأنهار والعيون والرياح اللوايح والسحاب الثقال والمركوم والمنبسط، والبرق والرعد والمطر، والجبال الراسيات، والجدد البيض والحرمر، والغرايب السود، والأرض الهامدة والأرض المهتزة الربابية— والجنات والنخيل والأعناب والتين والزيتون، والطلح والسدود واليقطين، والنمل والنحل والبعوضة والعنكبوت، والطيور الصافات، والإبل والحيل والأنعام، واللبن يخرج من بين الثمرث والدم، والشراب الشافي يخرج من بطون النحل، وخلق الإنسان من تراب ومن ماء مهين، وتطوره في ظلمات الرحم خلقا من بعد خلق، وشفثيه ولسانه وسمعه وبصره، وفؤاده، وإخراج الحى من الميت والميت من الحى(١٧٨)) ويشير (باشا) إلى أن هذه أمثلة قليلة بعيدة تماما عن الحصر مما يلفت القرآن إليه أولى الألباب الذين يعملون عقولهم وفكرهم بشكل صحيح، وبشكل يتفق مع وظائف عقولهم كما خلقها الله سبحانه وتعالى.

والنظر والتفكير في هذه الظواهر والحقائق وغيرها مما جاء في القرآن الكريم، هو أمر صريح، وهو بالنسبة للمفكرين وعلماء المسلمين والمثقفين منهم فإنه يعد فريضة وتكليف (١٧٩)، أو فرض عين على كل متخصص كل في تخصصه، وهؤلاء العلماء مطلوب منهم تبصرة غيرهم بما وصلوا إليه في أبحاثهم.

يذكر الراغب الأصفهاني في كتابه (مقدمة التفسير) أنه إذا كان القرآن الكريم كتاب هداية لكل الناس فإنهم لا يتساوون في معرفته والإمام بحقائقه، فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، وأهل الآثار من قصصه وهكذا (١٨٠). وبنفس القياس نقول: إن العلماء ليسوا بدعا بين من ذكرهم الأصفهاني، وكم من آيات القرآن الكريم إذا مستها يد العلم وشرحها العلماء المتخصصون كل في مجاله أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها. وهى لم تات بشكل علمى مباشر، لأن للقرآن أسلوبه الإلهى الحكيم، وهو لا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون، أو يستعصى على أفهامهم، حتى لا يؤدي هذا إلى التكذيب بما لم يحط به الناس. لكن القرآن يقضى بالحق ولا يوافق الناس على باطل في معتقداتهم الكونية زمن نزول الوحي، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته في

(١٧٨) فقرة منقولة من دراسة أحمد فؤاد باشا بعنوان: ضوابط البحث في الإعجاز العلمى للقرآن الكريم: مصدر سابق ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٧٩) راجع دراسة عبد الحافظ حلمى بعنوان: العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم: مجلة عالم الفكر: المجلد (١٢) العدد (٤) الكويت ١٩٨٢ م .

(١٨٠) راجع أحمد الشرباصى: قصة التفسير: دار القلم القاهرة ١٩٦٢،،،، وراجع د. باشا: مصدر سابق ص ٥٨ .

عصر التقدم العلمي والتقني. كل ذلك في علم الخالق البارئ المصور. وهذا ما أدى بآيات القرآن أن تحيى على هذا الشكل والصياغة البديعة المعجزة التي لا تصدر إلا عن خالق الكون والناس وسائر المخلوقات.

ولا شك أن الحديث حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم له مجموعة من الضوابط أهمها (١٨١):

- ١- اليقين أن علم الله هو العلم الشامل والمحيط الذي لا يعتبره خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان إنما هو بفضل الله، وأنه علم محدود ومعرض للخطأ.
- ٢- الحقائق العلمية كما يذكرها العلماء ويعرفون معناها وحدودها، تزداد وضوحاً مع الجهود العلمية التالية. فالمعرفة العلمية قابلة للتكذيب، وللخطأ وليست هناك نهائية علمية، وإن المعرفة العلمية كلها تقع في مجال المعرفة الظنية، أما المعرفة اليقينية فهي ما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة. فالنص حجة على اكتشاف العلماء وليس العكس.
- ٣) في مجال الإعجاز العلمي يجب التمكن من التفسير وعلوم السنة والتمكن في اللغة العربية من حيث معاني المفردات أثناء نزول الوحي، ومن حيث القواعد النحوية والبلاغية ودلالاتها، مع مراعاة البعد عن التأويل في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.
- ٤) الحقائق وكل ما جاء في القرآن لا يوضع موضع نظر واختبار، فالمرجعية لكلام الله وليس لبحوث العلماء أو للعلوم ولا تركية.
- ٥) يجب عدم الاستشهاد بالآيات القرآنية في مجال العلوم التجريبية إلا عن علم وتمكن من العلوم الشرعية والعربية، وإلا يجب الرجوع إلى المتخصصين في هذه العلوم قبل أي استشهاد حتى لا تكون الجراه غير المحموده في التكلم في كتاب الله بغير علم.
- ٦) كل هذا يعني أن المجتهدين في مجال الإعجاز العلمي للقرآن يجب أن يجمعوا بين الحسينين وهما التمكن من معرفة الظاهرة العلمية المتحدث عنها بتفاصيلها الدقيقة، والتمكن من العلوم الشرعية والعربية.